



الفكر الأخلاقي الجديد من الأخلاق النظرية إلى الأخلاقيات التطبيقية

*مريم خليفة المبروك¹

¹قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة سرت

ملخص البحث:

تناول هذا البحث الفكر الأخلاقي الجديد (من الأخلاق النظرية إلى الأخلاقيات التطبيقية) من خلال عدة محاور: تناول الأول مفهوم الأخلاق، والفكر الأخلاقي الجديد والأخلاق التطبيقية، واستعرض الثاني خصائص الأخلاقيات التطبيقية، وبين الثالث مجالات الأخلاقيات التطبيقية، وحل الرابع بعض النماذج للأخلاقيات التطبيقية، وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، الفكر الأخلاقي الجديد، الأخلاقيات التطبيقية، البيواتيقا.

New Ethical Thought From Theoretical Ethics to Applied Ethics

*Maryam Khalleefah Almbrouk Aldeeghah¹

¹Department of Philosophy - Faculty of Arts -University of Sirte

Summary:

This research dealt with the new ethical thought (from theoretical ethics to applied ethics) through several axes. The first dealt with the concept of ethics, the new ethical thought and applied ethics. The second reviewed the characteristics of applied ethics. The third showed the areas of applied ethics. The fourth analyzed some models of applied ethics. The research reached a set of results.

Keywords: Ethics, new ethical thought, applied ethics, bioethics.

المقدمة

الفلسفة وليدة عصرها، والتعبير الحي عن الواقع المعاش، واستشراف طريق المستقبل، ففي الوقت الذي اهتمت به الفلسفة في العصر اليوناني بالبحث في الميتافيزيقيا، وفي العصر الوسيط بالإلهيات، وفي العصر الحديث بالمعرفة، فإن النصف الثاني من القرن العشرين شهد الاهتمام الكبير بفلسفة العلم وفلسفة الأخلاق، فقد أدرك فلاسفة الأخلاق المعاصرون مدى إخفاق الخطابات الأخلاقية التي أنتجها الفلاسفة المثاليون والتي تستمد قيمها من المثل العليا والتأملات العقلية المجردة - وكذلك المبادئ التي استخلصها الفلاسفة الوضعيون من العادات والتقاليد والتجربة والممارسة وذلك تبعاً لتوجهاتهم المختلفة شأن البراجماتية والماركسية والوضعية والنفعية والتجريبية - عن تحقيق الغاية الإصلاحية التي ترمي إليها المبادئ والقيم الأخلاقية، الأمر الذي دفع الفلاسفة إلى ربط القيم الأخلاقية بالممارسة التطبيقية وذلك بالتعاطي مع قضايا إنسانية وأخلاقية وعلمية متداخلة.

فلم تعد فلسفة الأخلاق تهتم بالدراسة النظرية لتحليل المفاهيم الأخلاقية، بل وجهت اهتمامها لمناقشة ودراسة مشكلات حياتية جديدة وقضايا مصيرية أنتجها تطور العلوم واكتساح التقنية لجميع حقول العلم والمعرفة، وكذلك التطور المتزايد في



فضاء المعلومات، مما أدى إلى ظهور فكر أخلاقي جديد أو ما يسمى بالأخلاقيات التطبيقية للتعبير عن الأخلاق العلمية المجالية، لتنظيم الممارسة الأخلاقية داخل مختلف ميادين العلم والتكنولوجيا وما يرتبط بها من أنشطة اجتماعية واقتصادية ومهنية.

من هنا تزايد الطلب على الأخلاق والدعوة الى تخليق جميع مجالات المجتمع المعاصر، كأخلاقيات المهن، واخلاقيات السياسة، تخليق مؤسسات الدولة، أخلاقيات التعليم والصحة والصحافة ورسائل الإعلام، تخليق الفضاء العام.... الخ إشكالية الدراسة: تدور حول السؤال التالي: هل بمقدور الفلسفة الجديدة الموسومة بالأخلاقيات التطبيقية معالجة القضايا الراهنة التي أفرزها تقدم العلوم والتكنولوجيا؟

ويتبع ذلك عدة أسئلة منها: ما المقصود بالأخلاقيات التطبيقية؟ وما هي مجالاتها؟ وما السر وراء تزايد الدعوة لتخليق مناحي ميادين الحياة؟ هل استطاعت الأخلاقيات التطبيقية ردم الهوة بين التطور العلمي الهائل والأخلاق؟ وتكمن أهمية الدراسة والهدف منها: في تسليط الضوء على الأخلاقيات التطبيقية بوصفها حقلاً أخلاقياً جديداً ودورها الفاعل في تقنين الممارسة الإنسانية في كل حقول العلم والمعرفة، للحد من تغول عصر التقنية ومواجهة الخروقات العلمية وغرور العلماء إلى آدمية الإنسان وكرامته، وبدء علاقة جديدة مع أطروحات العلم القائمة. واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل وعرض الآراء المتصلة بالموضوع.

خطة الدراسة: اشتملت على المقدمة وأهمية الدراسة والإشكالية المراد دراستها، كما تضمنت المحاور التالية:

أولاً: مفاهيم ومصطلحات.

ثانياً: خصائص الأخلاقيات التطبيقية.

ثالثاً: مجالات الأخلاقيات التطبيقية.

رابعاً: نماذج من الأخلاقيات التطبيقية.

أولاً: مفاهيم ومصطلحات:

قبل الخوض في إشكالية الدراسة، نرى من الضروري استجلاء وتحديد المفاهيم المتعلقة بالدراسة، والتي نحصرها في

ثلاثة مفاهيم أساسية وهي كالتالي:

1- مفهوم الأخلاق في اللغة والاصطلاح:

الأخلاق في اللغة العربية جمع خُلُق، وجرى تعريف الأخلاق في المعاجم العربية على إيقاع واحد قوامه الخلق والطبع والجملة والسجية، وجاء في لسان العرب لابن منظور أن " الخلق الدين والطبع والسجية وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة ". (ابن منظور، 2003، 196).

أما الأخلاق اصطلاحاً: فيعرفها الجرجاني بأنها: " عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية، فإن كانت الهيئة مصدر للأفعال الجميلة سميت خلقاً حسناً، وإن صدرت عنها الأفعال القبيحة سميت خلقاً سيئاً ". (الجرجاني، 1983، 101)



وينتهج الغزالي النهج نفسه في تعريف الأخلاق، إذ يقول: " الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ". (الغزالي، 2005، 64)

ويأخذ ابن مسكويه بالتعريف ذاته مؤكداً على السجية والعفوية إذ يعرف الأخلاق بأنها: " حال النفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج والسجية والطبع كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب وحاله كحال الذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه الفكر ثم يستمر عليه أولاً فأولاً يصير ملكة وخلقاً ". (ابن مسكويه، 1981، 51)

بهذا يتحدد معنى الأخلاق في التراث العربي بمعيارين الأول: يتمثل في تلقائية السلوك من غير تكلف أو روية، والثاني: يتمثل في مبدأ الرسوخ والثبات والدوام والطبع، وهذا يعني أن الأخلاق سلوك يصدر من النفس الإنسانية بالفطرة، أو بفعل التعود وقد تحول السلوك إلى طبع وسجية في النفس متخذاً صفة الديمومة، فالخلق هو طبع وكسب في آن واحد، أي أنه طبع يتحقق بفعل الكسب.

أما في اللغات الأوروبية فيناظر كلمة أخلاق كلمتان مترادفتان في الدلالة والمعنى من حيث الاشتقاق وهما Morale مشتقة من اللفظ اللاتيني Mores وتعني الآداب العامة وينظرها Ethique مشتقة من اللفظ اليونانية Ethikos ويقابلها في اللاتينية Ethica، وتعني في استخداماتها العامة المعيار الأخلاقي لجماعة أو مجتمع ما. (بدوي، 1975، 7)

وتصبح بذلك الأخلاق تعبيراً عن الآداب العامة والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع بصورة ما، وأيضاً النظام الأخلاقي المعياري الموجه لسلوك الأفراد نحو الفضيلة والحق والخير والقيم الأخلاقية بصورة عامة.

وفي المعاجم يسمى علم الأخلاق Lamrale بعلم السلوك، أو تهذيب السلوك، أو فلسفة الأخلاق Ethique، أو الحكمة العملية أو الحكمة الأخلاقية أي معرفة الفضائل وكيفية اقتنائها، لتزكو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتنتزه عنها النفس. (صليبا، 1982، 50)

وتجدر الإشارة هنا إلى التميز بين وجهين للأخلاق الأول: نظري، والثاني عملي، حيث تهتم الأخلاق النظرية بوضع المبادئ الكلية والقواعد النظرية الأخلاقية التي يستند إليها السلوك، كما تعني بوضع المقاييس الخلقية التي يقاس بها تصرفات الإنسان الإرادية، فضلاً عن دراسة المفاهيم الأخلاقية كالخير والشر، والضمير، والعدل، والحق التي يتأسس عليها التفكير الأخلاقي بوصفها نابعة من التحليل النظري الذي يتسم بدرجة عالية من العقلانية والتجريد والتعميم.

أما الأخلاق العملية، تعني بالتطبيقات العملية للقيم الأخلاقية على أرض الواقع، وبيان الواجبات الخاصة وتفصيلها وما يتصل بها كواجب الإنسان نحو نفسه وغيره والإنسانية جمعاء، كما تعني بمطابقة السلوك العملي لقواعد الأخلاق داخل إطار زمني ومكاني محدد.

من هنا كانت قيم الأخلاق النظرية عامة كلية، بينما قيم الأخلاق العملية جزئية، الأولى تقدم الأنماط والقوالب النظرية الكلية، بينما تعطي الثانية المادة المتغيرة، وهذا التمايز بين الجانبين النظري والعملي لا يعني مطلقاً الفصل بينهما، لأن العلاقة بينهما تكاملية، فالأولى: تهدف إلى طبائع السلوك وقوانينه ومبادئه، والثانية تهدف إلى تطبيق هذه المبادئ على السلوك بحيث يظهر أثرها في المجال الاجتماعي، فكثيراً ما يفضي الإيمان بمبدأ ما بعد دراسته إلى ضرورة تطبيقه. (نصار، 1962، 53-58)



2-الفكر الأخلاقي الجديد: نقصد به ذلك التحول العميق في طبيعة التفكير الأخلاقي في الفترة المعاصرة، والذي أفرز نمطاً جديداً من الأسئلة والصيغ والمفاهيم الأخلاقية، فرضها التطور التقني العلمي الهائل في مجال الطب والبيولوجي وما يرتبط بها من قضايا فلسفية وقانونية واقتصادية ودينية، الأمر الذي أدى إلى تحولات عميقة في مسار الفكر الأخلاقي والذي انقلب بموجبه طبيعة الأنساق الفلسفية التأملية والقضايا الكلاسيكية التي درجت عليها فلسفة الأخلاق التقليدي إلى فلسفة عملية تطبيقية.

ونستخدم في دراستنا هذه عبارة الفكر الأخلاقي الجديد للدلالة على الأخلاقيات التطبيقية دون سواها من الخطابات الفلسفية المعاصرة الأخلاقية المعاصرة والراهنة التي لا تدخل ضمن مجال الأخلاقيات التطبيقية، بل هي أدخل في فلسفة الأخلاق النظرية التأملية كالفلسفات الروحية والمثالية. (طوطاو، 2023، 92-93) وقد تطور هذا الفكر بالموازاة مع تراجع الفكر الفلسفي النسقي، حيث واصل التقدم العلمي والتكنولوجي مسيرته الكاسحة، وأصبح هذا التطور النوعي المتسارع يستحوذ على اهتمام الفلاسفة والمفكرين بشكل عام، الأمر الذي جعل المهتمين بمستقبل الفكر الفلسفي يعتقدون أن تجديد الفكر سيتم في مجال " الأخلاقيات التطبيقية ".

3-مفهوم الأخلاقيات التطبيقية: هي جملة من القواعد الأخلاقية المجالية، تسعى إلى تقنين الممارسات العملية في مختلف مجالات العلم والتكنولوجيا والأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والمهنية ذات الصلة، لا تحاول أن تحل المشاكل الأخلاقية التي تثيرها تلك المجالات على أساس معايير أخلاقية جاهزة ومطلقة، بل تلك التي يتم التوصل إليها من خلال المداولات والتوافق، والتي تسعى إلى حلها على أساس التعامل الأخلاقي مع الحالات الخاصة والمعقدة أو المستعصية. (بوفتاس، 2010، 4)

ويورد ديفيد.ب. رزنيك تعريفاً للأخلاقيات التطبيقية بقوله: " هي دراسة المعضلات الأخلاقية، والخيارات، والمعايير في وظائف ومهن ومواقف عينية محددة وكيفية تطبيق النظريات والمفاهيم القيمة في سياقات معينة ". (رزنيك، 2005، 36)

كما تعرف الأخلاقيات التطبيقية بأنها: " فرع من الأخلاقيات المكرسة لمعالجة المشاكل والممارسات والسياسات الأخلاقية في الحياة الشخصية والمهن والتكنولوجيا على النقيض من النظرية الأخلاقية التقليدية، التي تهتم بالمشاكل النظرية الأخلاقية البحتة، ... وتأخذ الأخلاقيات التطبيقية نقط انطلاقها من التحديات المعيارية العملية ". (الشياح، 2020، 26)

نلخص من هذا بأن الأخلاقيات التطبيقية فلسفة جديدة تعنى بالإجراءات الواقعية والتطبيق العملي للاعتبارات الأخلاقية في مجالات وميادين الحياة المختلفة للحد من تغول التطور التقني.

كما أن الأخلاقيات التطبيقية ليست مخاض اعتباطي لا يمت بصلة إلى مرجعية، أو أرضية واقعية تاريخية، فالدعوة إلى أخلاقيات جديدة أو فكر أخلاقي جديد نتاج مجموعة إرهابات وتحولات عصر ما بعد الحداثة، كالقول بالذاتية (الفردانية) وإفلاس المعنى والفراغ الأخلاقي النظري وتشظيه مع الحداثة وما بعدها، وسقوط التصورات الشمولية وموت الأيديولوجيات وغياب المنظومات الكبرى، وثورة المعلومات وتقدم التقنية الحديثة، وراء حضور الفكر الأخلاقي الجديد. (عطية، 2017، 13-15)

ثانياً: خصائص الأخلاقيات التطبيقية

تتميز الأخلاقيات العملية بمجموعة من الخصائص والتي من أهمها:

1_ أنها فلسفة عملية:

إذا كانت الأخلاق التقليدية تقوم على التأمل الفلسفي النظري في المسائل الأخلاقية والكليات المجردة مثل مسألة الخير والشر، والعدالة والواجب وغير ذلك من المسائل التي شكلت موضوعاً لفلسفة الأخلاق النظرية، فإن الأخلاقيات التطبيقية هي قواعد عملية تهدف إلى تشكيل أنماط جديد توجه الممارسة في المجالات العلمية والعملية في المجتمع المعاصر، ورغم أنها قواعد أخلاقية، إلا أنها يمكن تحويلها إلى سياسات وقوانين تشريعية في إطار ما يعرف بالانتقال من الأخلاق إلى القانون، كما أنها تتجدد وتعطي أبعاداً جديدة فيما يتعلق بالمعضلات التي يطرحها التقدم التكنولوجي، مثل الأبعاد الجديدة لمفهوم الواجب في مجال أخلاقيات الطب وأخلاقيات البيولوجيا، والأبعاد الجديدة لمفهوم المسؤولية في مجال أخلاقيات البيئة .. الخ. (بوفتاس، 2012، 28-29).

2_ أنها فلسفة واقعية حياتية:

تستوعب مختلف المشكلات التي يواجهها الإنسان (فرداً ومجتمعاً) في واقعه وحياته اليومية، أي أنها تتناول معظم القضايا والمشكلات الأخلاقية التي تهم حياة الإنسان المعاصر، إنها أخلاقيات واقعية أفرزتها حياة الناس في مختلف المجالات الحياتية، مثلما عبر عنها بيتر سينغر " أخلاقيات عالمنا الواقعي " ومن أهمها: القضايا التي تمس حياة الإنسان المعاصر: مثل الموت الرحيم، والإجهاض، والرعاية الصحية، والفقر، والإتجار بالأعضاء، والاستتساخ، واستخدام الأجنة، وحرية التعبير، والعنصرية، ومشكلة اللاجئين، وحقوق الإنسان وحقوق الحيوان، والمسألة الأيكولوجية، وتلوث البيئة، وقضايا الرأي العام، واستغلال المواد الطبيعية وغيرها من القضايا التي تهم حياة الإنسان المعاصر. (طوطاو، 2023، 96)

3_ أنها فلسفة مجالية:

لا مجال للحديث فيها عن نسق فلسفي شامل ومغلق بإمكانه الإجابة عن مختلف المشكلات الأخلاقية انطلاقاً من مبادئ ومعايير كلية، بل صار الحديث فيها عن أخلاقيات بصيغة التعدد تبحث في إمكانات المستقبل في مجالات متعددة مثل الطب والسياسة والإعلام والاقتصاد والبيئة، وعلوم الفيزياء، والحياة ... الخ، فلكل مجال من مجالات الحياة أخلاقيات خاصة به، وقد أشارت (جاكين روس) الفيلسوفة الفرنسية في كتابها (الفكر الأخلاقي المعاصر) إلى خمس مجالات بارزة للأخلاق العملية، هي أخلاقيات الطب والبيولوجيا، وأخلاقيات الأعمال، وأخلاقيات وسائل الإعلام، وأخلاقيات الممارسة السياسية. (روس، 2001، 109). إنها أخلاقيات متعددة المجالات.

4_ أنها فلسفة توافقية تداولية:

لا تنشأ لجان الأخلاقيات ولا تحتكرها جهة معينة، بل تأتي نتيجة التشاور والتداول بين ممثلي تخصصات متنوعة، تهتم بالمعضلات التي تشمل جميع مكونات المجتمع، و في بعض الحالات تأخذ مثل القضايا البيئية والطبية والبيولوجية، طابعاً عالمياً يهم جميع الناس، وغالباً ما يتم تداول مثل هذه القضايا المعاصرة في أروقة منظمات تسمى لجان الأخلاقيات، والتي تتشكل من ممثلين عن التخصصات المعنية مباشرة بهذه القضايا، بالإضافة إلى مختلف الجهات الفاعلة في المجتمع المعاصر، مثل القضاء و السياسة والاقتصاد والبيئة وحقوق الإنسان والعلوم الإنسانية والفلسفة. (بوفتاس، 2012، 29).



ثالثاً: مجالات الأخلاقيات التطبيقية: مجالات حياتية تمس كافة مناحي الحياة وتمضي بها نحو أفق التحسين والتقدم، ولعل من أبرزها باختصار:

1- أخلاقيات الطب والبيولوجيا: وترتبط بالتساؤلات الناجمة عن تطور تكنولوجيا الحياة كالموت الرحيم، والاستتساخ، والهندسة الوراثية، والهوية البيولوجية... الخ.

2- أخلاقيات الاقتصاد: وترتبط بميدان الحياة الاقتصادية، وما تطرحه التساؤلات المتعلقة بأخلاقيات التجارة والأعمال، مثل اقتصاد المشاركة، واقتصاد المعرفة، والاقتصاد البيئي، وأخلاقيات التيسير والتدبير الاقتصادي... الخ.

3- أخلاقيات المعلومات: وترتبط هذه الأخلاقيات بمجال تكنولوجيا المعلوماتية وما تشمله من تقنيات الحفظ والنشر وإنتاج وجمع المعلومات واسترجاعها، وما يرتبط بها من مفاهيم عميقة كالاقتصاد المعرفة، ومعالجة مجموعة من الإشكالات الراهنة مثل حرب المعلوماتية والواقع الافتراضي... الخ.

4- أخلاقيات البيئة: وتهتم بدراسة الأسئلة الأخلاقية التي تثيرها العلاقات البشرية مع البيئة، والمشاكل البيئية التي تواجه الإنسان، كنفاد الموارد الطبيعية، وتغير المناخ، والحفاظ على موارد البيئة وحمايتها من الاستغلال المفرط ولو على حساب التنمية الاقتصادية.... الخ.

5- أخلاقيات الإعلام والاتصال: وترتبط بالثورة التكنولوجية الحادثة في مجال وسائل الإعلام في تقاطع مع الطفرة الإعلامية، والقضايا المتعلقة بتوجيه الرأي العام والتحكم في خياراته، وهيمنة ثقافة الصورة ودور الاعلام في تقويض الحقائق وتشويه الأحداث.

6- أخلاقيات التكنولوجيا: وهي أخلاقيات يتلاقى فيها عدد من التخصصات الفرعية، بما في ذلك أخلاقيات وسائل الإعلام وأخلاقيات تكنولوجيا المعلومات، وأخلاقيات تكنولوجيا الحياة، وأخلاقيات تكنولوجيا العسكرية، ويثير كل من هذه التخصصات التقنية قضايا أخلاقية محددة، بالإضافة الى القضايا الأخلاقية العامة التي تثيرها العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا. (بوفتاس، 2012، 4-7).

رابعاً: نماذج من الأخلاقيات التطبيقية:

سنركز في هذه الدراسة على ثلاثة نماذج أساسية هي:

1- الأخلاقيات الطبية والبيولوجية (البيوتيقا): ظهرت الأخلاقيات الطبية أو البيوتيقا في السبعينيات من القرن الماضي، كتخصص جديد يهتم بالقضايا الأخلاقية التي تثيرها الممارسة العلمية والتكنولوجيا في الطب والبيولوجيا، وتحديداً في الولايات المتحدة الأمريكية التي تميزت بالتقدم العلمي والتقني في كافة الميادين. ولأن التقدم التكنولوجي وتطبيقاته العلمية قد عاد على الإنسانية بنتائج ذات قطبين، قطب إيجابي: وهو ما أحدث نهضة فعلية في مسار الحياة الإنسانية عامة، وقطب سلبي: اتسم هذا المسار الحياتي باختراقات ضد الإنسانية خاصة في مجال الصحة وتجاوزات الأطباء بسبب الاختراقات التي حدثت في حق الأطفال والسجناء والعجزة، وإخضاعهم لتجارب طبية خطيرة دون موافقتهم، كان سبباً لتكون البيوتيقا حاجة ضرورية للسؤال الفلسفي الأخلاقي في قلب العلم. (بوحناش، 2015، 29)



يتألف مصطلح البيوتيقا كلمتين Bio يعني حيوي ethos بمعنى أخلاقيات، أي أخلاقيات الطب البيولوجي أو أخلاقيات علوم الصحة والحياة، يشير المصطلح للتعبير عن تخصص أخلاقي جديد يعالج القضايا الأخلاقية التي تثيرها الثورة في الطب والبيولوجيا بهدف الدعوة إلى المبادئ النظرية وحل المشاكل العملية التي ظهرت في المجتمعات المتقدمة، نتيجة التقدم في التكنولوجيا الحيوية (الهندسة الوراثية، الإنجاب الصناعي، الخ)، وقد استخدم مصطلح البيوتيقا لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية من قبل عالم السرطان بوتر رانسيليرفان في كتابه: (البيوتيقا جسر إلى المستقبل)، الذي نشر عام 1971م والذي يعرف فيه هذا الحقل الجديد بوصفه: معرفة كيفية استخدام المعرفة. (جيلاني، 2021، 22-23) تطرح أخلاقيات الطب والبيولوجيا رهانات متعددة أخلاقية وقانونية وفلسفية، فالفلاسفة يوجدون في طليعة المهتمين بالفكر البيوتريقي، لأن البيوتيقا تفكير فلسفي أيضاً في المشاكل الأخلاقية الناجمة عن الأبحاث والدراسات المعاصرة في ميادين علوم الحياة.

لذا تمثل البيوتيقا حقلاً مركزياً ثرياً من حقول الأخلاق الراهنة للنظر في الإنجازات التي أحدثها التطبيق العلمي التقني على الإنسان، ثم البحث عن السبل العلمية التي لا تتعارض مع الكرامة الإنسانية وقيم الإنسان التي تمثل ماهية وجوده الإنساني الحقيقي، ومن أهم المسائل والقضايا التي تنظر فيها البيوتيقا هي: التدخل في طبيعة الإنجاب الإنساني (الإنجاب الاصطناعي) وأطفال الأنابيب، الجينوم الإنساني والتدخل في وضع الخريطة الجينية للإنسان، والأرحام المستأجرة، والتدخل في نهاية الحياة (الموت الرحيم)، والتدخل في الجسم البشري (زراعة الأعضاء)، والتدخل في الشخصية الإنسانية (التحكم في الجهاز العصبي)، والبنوك الجينية، والاستساخ ... الخ، كل هذه القضايا تشترك في الإحاطة بمصير الجسد البشري، ومن استشراف القيم والمعايير الأخلاقية التي تمثل أرضية خصبة للجدال الفلسفي والعلمي والقانون وكذا الديني، وذلك لإقامة ضرب من التوازن بين القيم الأخلاقية والتطورات العلمية الجديدة (عليوه، 2020، 36) كذلك تتعدد مجالات الأخلاقيات الطبية (البيوتيقا)، ومن أهمها: أخلاقيات العيادة، وتدور حول المسائل التي يصعب اتخاذ قرارات حاسمة بشأنها مثل القرار المتعلق بمصير الأطفال حديثي الولادة المصابين بتشوهات خطيرة، أو قرار الإبقاء على الوسائل والأجهزة الداعمة لحياة الذين يعانون من غيبوبة دائمة ... الخ، وما يرتبط بهذه المسائل والقرارات المتعلقة بها من التصرفات الملائمة أخلاقياً والتي يجب القيام بها بجانب سرير المريض من معلومات يمكن الإدلاء بها، والحوار الذي ينبغي إجراؤه، والقرار الذي يجب اتخاذه، أي كل ما يواجه الطبيب والفرق الطبية سواء في العيادة أو مكتب الاستشارات أو منزل المريض.

في حين تدور أخلاقيات البحث العلمي في المجال البيوتريقي حول مدى مشروعية الأبحاث والتجارب على البشر، أو حول المرجعيات والمبادئ التي ينبغي اتباعها عند إجراء مثل هذه التجارب، ويتحدد ذلك من خلال ما يسمى (لجان أخلاقيات البحث العلمي) المكلفة على الصعيد الأخلاقي بالمصادقة على بروتوكولات البحث المتعلقة بالتجارب على البشر.

أما أخلاقيات السياسة الصحية: فهي جملة من القواعد والقوانين والخطط التي تضعها السلطات المعنية وتوجهها لتحقيق الصالح العام لمجموع السكان دون تمييز، والفصل في القضايا الشائكة الموجودة في العيادات الصحية، مثل ما هو مدى الأولوية في ظل وجود كثير من المرضى مع ندرة الموارد، وإيجاد حلول مستعجلة لكثير من القضايا الشائكة. (النشر، 2018، 187-189)



نخلص من هذا إلى اعتبار أخلاقيات الطب والبيولوجيا أو البيواتيقا هي نمط جديد من الفكر الفلسفي الأخلاقي لتحسين العلاقة بين العلم والأخلاق لحماية جوهر الإنسان والحفاظ على إنسانيته، في مواجهة المدّ التقني الذي يعمل تدريجياً على مسح معالم الإنسانية وقيمتها.

2- أخلاقيات البيئة (الأيكولوجيا): لقد أدى التدمير المتزايد لعناصر البيئة، بسبب تزايد النشاط البشري المخل بالتوازن الطبيعي، والإفراط في استخدام ما وفرته الثورة الصناعية والتكنولوجية من إمكانات، إلى ظهور فعاليات مختلفة تضم المتخصصين من علماء البيئة إلى جانب رجال الفكر والسياسة والأخلاق والفلاسفة نادى بالدفاع عن البيئة والتصدي لأشكال الإضرار بها، وضرورة وضع أخلاقيات جديدة باعتبار أن الخطر إنما يشمل الإنسانية جمعاء، الأمر الذي أدى إلى ظهور مفاهيم جديدة انتشرت في الفكر المعاصر: كأخلاقيات البيئية، جمعيات حماية البيئة، الحركات البيئية، والسياسات البيئية ، تندرج هذه المفاهيم وما تتضمنه من قضايا وأسئلة في إطار الفكر الأيكولوجي المعاصر، للتعبير عن فلسفة جديدة تتصور الإنسان في وضع اجتماعي وثقافي وبيئي حرج، وتسعى إلى تقديم رؤية جديدة للإنسان في علاقته بمحيطه البيئي. (فنوس، 2011، 22).

يتألف مصطلح إيكولوجيا من كلمتين أوكوس Oikos يعني المسكن أو المأوى أي ما يحيط بالشيء ويصبح مكاناً لمعيشته ولوغوس Logos تعني العلم أو الدراسة والدلالة؛ هذا المركب هو دراسة العلاقة بين الكائن الحي والبيئة التي تمكن له الوجود. ويعرف المختصون الأيكولوجيا بأنها " الدراسة التي تبحث عن العلاقات التفاعلية بين المنظومات الطبيعية والحية، وبين بيئتها... وهي أيضاً تتعلق بالتداخل القائم بين الوسط الفيزيائي، وجميع المؤثرات الواقعة على المنظومات الأخرى ". (دويه، 2018، 108).

يتلخص السؤال الأخلاقي للبيئة، والذي يمكن صياغته في الأسئلة لأتية: هل يمكن أخلاق البيئة وفقاً لمعايير القيمة الإنسانية؟ وعلى أي أساس يمكن إقامة أخلاق بيئية؟

من هنا ظهرت أخلاقيات البيئة، كنمط ونظام جديد في الفكر الأخلاقي الجديد يختص بدراسة الأسئلة الأخلاقية التي تثيرها العلاقات البشرية مع البيئة غير البشرية، في سياق أنماط الحياة غير المستدامة حالياً والتغير المستقبلي غير المحتمل، ودراسة العلاقة الأخلاقية بين الإنسان والبيئة على اعتبار أن الإنسان هو الكائن الأخلاقي الذي يستطيع أن يؤسس لقيم ومعايير أخلاقية تحكم علاقته بغيره من بني جنسه وبيئته، فكانت أخلاق البيئة التي تعرف بأنها " نظام جديد يهتم بالقواعد التي يراعيها الإنسان ليحفظ بها الطبيعة، هذا النظام يطور التفكير الأخلاقي الذي يسعى إلى تبرير مجموع السلوكيات والقيم والمواقف بالنسبة للكائنات الحية منها والجامدة أي بالنسبة للمحيط الحيوي ككل " . (بوالسكك، 2015، 174)

وبالتالي تسعى الأخلاقيات البيئية إلى حل المشاكل البيئية والتغلب على الأزمات التي تعاني منها البشرية بسبب التدهور البيئي، وذلك بالاعتماد على آفاق جديدة لا تنحصر في الدفاع عن حق الإنسان في العيش والبقاء، بل تتجاوز ذلك إلى إدماج باقي الكائنات الأخرى والتشديد على منح هذه الكائنات حقوقاً واعتبارات أخلاقية من أجل البقاء، وفي هذا السياق يتم الحديث عن حقوق الأرض والحيوان وحقوق البيئة.

يعتبر كثير من الدارسين بأن المؤسس الأول لأخلاقيات البيئة المفكر الأمريكي ألدوليوبولد (1887 - 1948م)، الذي لفت الانتباه في روايته (المقاطعة الرملية) إلى ضرورة أن يشمل الاعتبار الأخلاقي كل مكونات المجال الحيوي



وليس الإنسان فقط، مندداً بموقف الاستخفاف الذي تنتهجه بعض المجتمعات الحديثة تجاه الطبيعة، فقام بتطبيق بعض المفاهيم الأخلاقية والتي تؤمن بأن كل شيء حي يعتبر مركزاً للحياة ويتمتع بقيمته الذاتية، فصك مصطلح أخلاق الأرض لتنظيم العلاقة بين الإنسان والكائنات غير البشرية في البيئة، والوصول إلى قواعد أخلاقية تحكم طبيعة هذه العلاقة، من أجل حياة أفضل. (سيد، 2023، 122)

كذلك عدّ كتاب عالمة الأحياء البحرية راشيل كارسون (الربيع الصامت) بأنه المحفز للحركة البيئية التي عصفت بقتل ملايين العصفائر المحبوبة لدى الأمريكيين عند الاستخدام الواسع للمبيدات السامة، وهو ما انعكس سلباً على البشر أنفسهم. (زيمران، 2006، 17).

وترى جاكين روس أن الأخلاقيات الإيكولوجية العميقة التي دعا إليها (ميشيل سير) في كتابه (العقد الطبيعي)، و الألماني (هانس يوناس) في كتابه (مبدأ المسؤولية)، من شأنها أن تساهم في وضع قانون للحقوق الطبيعية، تحتل فيه الطبيعة مركز الصدارة، في مقابل اللامركزية البشرية "فبدل الاعتراف بأن الإنسان وحده غاية بذاته، وأنه يملك قيمة مطلقة، فإن الطبيعة أيضاً تطالب ألا تعامل معاملة وسيلة وفوق حقوق الفاعل العاقل تتراكم حقوق الكرة الأرضية، ونحن مكلفون برعايتها". (روس، 2001، 124)

وإلى مثل هذا سعى الأخلاقيون والمختصون الأيكولوجيون ومنظمات حقوق البيئة للدفاع عن البيئة والموارد والقرارات الأخلاقية والقانونية لحماية البيئة والحيلولة دون تدهورها ومواجهة المشاكل البيئية والأزمات التي يعاني منها الإنسان بسبب التدهور البيئي ومن أهمها: ثقب الأوزون، والاحتباس الحراري، وظاهرة التصحر، وتلوث الماء والهواء، الإشعاع، الضوضاء، استنزاف مصادر الطاقة، والمواد الكيماوية، والتدخل بتعديل الجينات الوراثية، والمطر الحمضي، والبيت الزجاجي، والضباب الضوئي الكيماوي، وماترتب عن ذلك من ظهور أمراض العصر كأنواع السرطانات، والأمراض المنقولة عن طريق الهواء والماء، والغازات السامة وغيرها من الأزمات والقضايا البيئية والتي كانت سبباً وجيهاً في انعقاد المؤتمرات والندوات الدولية لإنقاذ كوكب الأرض، منها مؤتمر ريودي جنيرو في البرازيل الذي عرف باسم الأرض. (بوالسكك، 2015، 176)

كما ساهم تقرير اليونسكو عام 1977م، الموسوم بـ (مستقبلنا المشترك) في دعم وبناء خطوط مشتركة للعلاقة بين الإنسان والبيئة والتنمية، لتقديم رؤية جديدة للإنسان في علاقته بمحيطه البيئي وكيفية التعامل معه والانتفاع به، واستبعاد النزعة الشوفينية التي تجعل من الإنسان مركز الكون والجدير وحده بالمعاملة الخلقية.

3- الأخلاقيات المهنية: تعد حقلاً هاماً من حقول الأخلاقيات التطبيقية حيث يتناول بالدراسة والتحليل المبادئ الأخلاقية والمشكلات الأخلاقية المتعلقة بالمهن المختلفة لكافة القطاعات: التعليم، الصحة، الهندسة، التجارة والأعمال، الاتصالات، الصحافة المهن الحقوقية، الإدارة والتيسير.

ولكل مهنة من المهن أخلاقياتها الخاصة بها والتي تحكم سلوك أعضائها وتقاليدهم ومعايير انتقائهم وتعرف أخلاقيات المهنة بأنها: "المعايير والمبادئ التي تعد مرجعاً للسلوك المطلوب لأفراد المهنة الواحدة، والتي يعتمد عليها المجتمع (المؤسسة) في تقييم أدائهم إيجاباً وسلباً". (عليوه، 2020، 95)

وبعبارة أخرى هي مجموعة من الضوابط والقواعد والتوجيهات الأخلاقية المحددة التي لا تستقيم المهنة بدونها، كما أن الطابع الإلزامي لسلوك المشتغلين بها لا يركن إلى الضمير والوازع الديني فحسب؛ بل إلى القواعد المستنبطة من الأداء الأمثل لهذه المهنة.



لذا توجد الأخلاقيات المهنية في قلب التساؤلات التي تطرحها المجتمعات المعاصرة، وتستند هذه المجتمعات إلى مجموعة من الخصائص والمعايير المشروطة بمسائل أخلاقية وهي:

أولاً: الاقتصاد الذي يصنع قيمه الخاصة، مثل: الكفاءة والإنتاجية والتنافسية، بالإضافة إلى التكاليف والأرباح، والعرض والطب، والإنتاج والاستهلاك.

وثانياً: العقلانية الاقتصادية، وهي كلها تستند إلى مفاهيم مثل: التقدم العلمي التكنولوجي الذي يعتمد نوعاً مختلفاً من العقلانية القائمة على أسس إجرائية وتجريبية وتشغيلية ويزود الاقتصاد بالطرق والوسائل اللازمة: الحقوق والقوانين التي تحدد المعايير والمحظورات من خلال ضبط العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وتنظيمها. (بوفتاس، 2012، 20).

إن ظاهرة تزايد النمو والتحول في ممارسة مختلف الوظائف والمهن والذي ساهم في تزايد الطابع الافتراضي في دائرة الأشغال والمهن، إضافة إلى انتشار البيروقراطية التي تتجلى في تنظيم وتقسيم الشغل بناء على معايير معينة للمعقولية أدى إلى حصول أزمة ثقة تجاه أنماط الخبرة المهنية، وتراجع الالتزام الأخلاقي داخل مختلف المهن الأمر الذي أدى إلى ضرورة أن تضع كل مهنة معايير وقواعد أخلاقية لضبط وتنظيم الممارسة الداخلية، وتحديد أبرز القيم الخاصة بكل مهنة، والالتزامات والحقوق والمسئوليات المترتبة بممارسة المهنة، إلى جانب إعداد مدونة واجبات المهنة والتي تتضمن مجموعة من المبادئ والإجراءات والتدابير القانونية لمواجهة المشاكل المهنية التي تعترض طريق العاملين داخل نفس المهنة، وأيضاً المشاكل المتعلقة بنزاهة العمال، وما يرتبط بحفظ السر المهني، وعقوبة إنشاء سر المهنة، وعدم الأمانة، والابتزاز، وعدم المساواة، وعدم تكافؤ الفرص وغيرها من التجاوزات الأخلاقيات المهنية، وتقديم حلول فعلية لكل هذا. (بوفتاس، 2012، 20-22)

ومع تنامي الاهتمام بالممارسة الأخلاقية للمهنة، اضطرت النقابات المهنية والاتحادات العمالية إلى اللجوء إلى وضع موثائق أخلاقيات المهنة الملزمة لأعضائها، إلا أن الميثاق الأخلاقي لأي مهنة يجب أن يحتوي على قواعد لتوجيه ممارسة المهنة من أجل الارتقاء بها وتدعيم رسالتها، ويجب أن تتسم قواعد الميثاق الأخلاقي للمهنة بالسهولة والوضوح والشمولية والعقلانية والمقبولية العملية، ومن خلال قواعده يجب توضيح التزامات جميع المهنيين تجاه زملائهم والهيئات المرتبطة بهم. (جبار، 2023، 60).

وباختصار يمكن القول بأن أخلاقيات المهنة هي مجموعة من القيم والمعايير والآداب السلوكية الخاصة بالمهنة التي تتبناها جماعة مهنية ما كمرجعية لتوجيه سلوك أعضائها لتحمل مسؤولياتهم على نحو أخلاقي، وبهذا تكون مهمة الميثاق الأخلاقي تذكير للأعضاء المنتسبين للمهنة الواحدة بمراعاة القيم الأخلاقية بالمهنة، وإيضاً تذكير بالعقوبات التي قد يتعرض لها الأعضاء عندما يخرقون القوانين والآداب الأخلاقية للمهنة.

الخاتمة

في ختام هذا البحث ننتهي إلى القول بأن فلسفة الأخلاق قد شهدت تحولاً جذرياً في مسار تطورها، فبعد أن كانت فلسفة نظرية صارت أخلاقيات تطبيقية، فالأخلاق اليوم لم تعد مسألة أحكام جاهزة وقواعد ومعايير مطلقة مطلوب من الإنسان أن يطبقها ببساطة، لكن عليه السعي إلى فهم أحكامها وقواعدها وفق المتغيرات المستجدة، فالسلوك قد تغير جذرياً وعلينا أن نجتهد في فهم أحكامه وقواعده وفق متغيرات جديدة، لكن هذا لا يعني الخروج عن قوانين الأخلاق، بل هو دعوة إلى التمسك بالأخلاق العملية والعقلانية والتطبيقية. وهذا التحول هو ما اصطلاحنا عليه بالفكر الأخلاقي الجديد،



وقد ارتبط هذا التحول بمعطيات علمية أفرزها تقدم العلوم والتكنولوجيا وتحولات أبستمولوجية واجتماعية وتعددية فكرية وفلسفية هيأت المناخ المناسب للانفتاح على مجالات غير معهودة جرى الخوض فيها كأخلاقيات الحياة، أخلاقيات البيئة، أخلاقيات الإعلام، أخلاقيات الاقتصاد، أخلاقيات المهنة، أخلاقيات التكنولوجيا ... الخ، وبهذا اقتحمت الأخلاقيات التطبيقية جميع الميادين، وباتت مشروعاً فكرياً يسأل بوصف السؤال هنا طرحاً فكرياً من قبل المفكر والفيلسوف ورجال الاقتصاد، والسياسية، والقانون، والأخلاق، لاستحصاإجابات متنوعة علمية فكرية لها مساس بواقع الإنسان المعاصر، وأيضاً بتخليق الممارسة الإنسانية داخل كل حقل من حقول المعرفة للحدّ من غلو التقنية وتجاوزات العلماء التي لا تتحاز إلى كرامة الإنسان وأدميته، وبدء علاقة جديدة مع اطروحات العلم القائمة، فإنسان اليوم أصبح بحاجة ماسة إلى ما ينبغي أن تكون عليه الأخلاق ليس كدراسة نظرية للسلوك، بل كدراسة تطبيقية عملية تمس كل جوانب الحياة الواقعية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المعاجم والقواميس

- 1- ابن منظور: لسان العرب، مج 3 (القاهرة، دار الحديث، 2003م).
- 2- الجرجاني: كتاب التعريفات، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م).
- 3- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982م).

ثانياً: المصادر والمراجع

- 1- أحمد عبد الحليم عطية: انيقا الراهن الاتجاهات الأخلاقية المعاصرة، (القاهرة، 2017م).
- 2- بنين حامد جبار: مفهوم الأخلاقيات التطبيقية، مجلة متون، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، مج 16، العدد1، يناير 2023م.
- 3- جاكولين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ط1، (بيروت، عويدات للنشر والطباعة، 2001م).
- 4- ديفيد رزنيك: أخلاقيات العلم، ترجمة عبد النور عبد المنعم، عالم المعرفة العدد 316 يونيو، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 2005م).
- 5- رحيم محمد الشياح: مدخل إلى فلسفة الأخلاق التطبيقية، ط1، (بيروت، دار بين الكتب، 2020م).
- 6- الشريف الهاشمي طوطاؤ: المنعرج الايثقي المعاصر، جدل التراجع والتقدم في الفكر الأخلاقي، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 70 المجلد 10 مارس، 2023م.
- 7- عبد الرحمن بدوي: الأخلاق النظرية، (الكويت، وكالة المطبوعات، 1975م).
- 8- عبد الغني عليوة: محاضرات في مقياس الأخلاقيات التطبيقية، (الجزائر، وزارة التعليم العالي، 2020م).
- 9- عبدالغني بوالسكك: الفلسفة البيئية وأخلاقيتها، ضمن كتاب الأخلاقيات التطبيقية وجدل القيم، ط1، (منشورات ضفاف، مكتبة مؤمن قريش، 2015م).
- 10- عمر بوفتاس: الأخلاقيات التطبيقية ومسألة القيم، (المغرب، الرابطة المحمدية، 2012م).
- 11- الغزالي: إحياء علوم الدين، ط1، (بيروت، دار ابن حزم، 2005م).
- 12- مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية من حقول الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، عالم المعرفة، ترجمة معين رومية، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ج1، عدد 333، 2006م).



مجلة جامعة فزان العلمية
Fezzan University scientific Journal

Journal homepage: [wwwhttps://fezzanu.edu.ly/](https://fezzanu.edu.ly/)



- 13- محمد أمين بن جيلالي: الإتيقا: نقد المفهوم وتحولاته في العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية، ط1، (العراق، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2021م).
- 14- محمد عبد الستار نصار: دراسات في فلسفة الأخلاق، ط1، (الكويت، دار القلم، 1982م).
- 15- مصطفى النشار: الفلسفة التطبيقية وتطوير الدرس الفلسفي، ط1، (القاهرة، روابط للنشر والتوزيع، 2018م).
- 16- نورة بوحناش: البيواتيقا انفجار أخلاقي داخل العلم، ضمن كتاب الأخلاقيات التطبيقية وجدل القيم، ط1، (منشورات ضفاف، مكتبة مؤمن قريش، 2015م).
- 17- وجيهة ثابت العاني: أخلاقيات المهنة أصولها الفكرية وتطبيقاتها العملية، ط1، (الأردن، عالم الكتب الحديث، 2021م).